القاهرة التي تتحدثها خديجة، ولغة ثالثة نقرؤها في الكتب فلا نعجز عن فهمها وإن وجدنا فيه بعض العسر، فكيف توجد لغة أخرى، وما عسى أن تكون، وكيف يتعلمها الناس؟ إنها تظهر لي كتبًا ما كنت أقدِّر أن أراها، وإني لأنظر هذه الكتب فلا أفهم منها إلا بعض الصور، وإني لأحاول النظر في الحروف فلا أعرف لها أولًا ولا آخرًا، ولا أعرف لها رأسًا ولا ذيلًا، وإنها لتضحك في رفق وإنها لتحس شيئًا من الكبرياء لأنها تعلم ما لا أعلم، وإنها لتحاول القراءة في هذه الكتب فتبلغ من ذلك ما لا أبلغ، وإنها لتترجم بعض ما تقرأ فأفهم عنها ما تقول بالعربية وأدهش وينتهي بي الدهش إلى أقصاه …

وهذا أستاذها السوري قد أقبل وإنها لتلقاه فيتحدث إليها وترد عليه بهذا الذي لا أفهمه فأزداد بها وبه إعجابًا وفتنة، وهذه خديجة تكبر في نفسها وتكبر في نفسي وتقوم مني مقام المعلم، وإذا هي تقرؤني هذه الحروف التي لم أكن أقرؤها، وتعلمني هذه اللغة التي لم أكن أعلمها، وإذا أنا تلميذة لها في الصباح وتلميذة معها في المساء، وإذا المعلم بارع وإذا التلميذة على حظٍّ من ذكاء، وإذا أنا أجد في هذه الحياة الجديدة وفيما نقرأ معًا وما نتعلم معًا عزاء أي عزاء، ونسيانًا أي نسيان؟ وإذا الأستار تُلقى شيئًا فشيئًا بيني وبين هذا الماضي البشع القريب، وإذا كل شيء في هذا الماضي ينمحي قليلًا قليلًا إلا شخصين اثنين لا ينمحيان ولا يتضاءلان، وإنما يرتسمان في نفسي ارتسامًا قويًّا ويتمثلان أمامي تمثلًا متصلًا ملحًّا، وهما شخص أختي صريعًا يتفجر من صدرها الدم في الفضاء العريض، ويغمغم فمها بكلمات لا أفهمها، وشخص ذلك المهندس الشاب الذي أغواها ودفعها دفعًا إلى ذلك الفضاء العريض الذي صرعت فيه.